معهد الآداب الشّرقيّة واللغات الشّرقيّة القديمة[1]

البروفسور أهيف سنّو

عَرضٌ مُوجَز

لا شكّ أنّ علاقةً تاريخيّة وعِلميّة وطيدة جَمعَت بين كيانات ثلاثة في جامعة القدّيس يوسُف، وهي على التوالي **الكلّيّة الشّرقيّة** التي أَسّسها الآباء اليسوعيّون سنة 1902، وتَوقّف التدريس فيها بسبب الحرب العالميّة الأُولى وما عَقَبها من أحداث؛ ثمّ **الدروسُ في الآداب الشّرقيّة** التي استُؤنِف تأمينها من جديد سنة 1933؛ ثمّ **معهد الآداب الشّرقيّة** الذي أُنشئ سنة 1936، ورَعَته جامعة ليون (Lyon) ابتداءً من العام الجامعيّ 1937–1938، حتّى إنشاء كُلّيّة الآداب والعُلوم الإنسانيّة سنة 1977، حينما ضُمّ إليها المعهد المذكور. وتَتَجلّى تلك العلاقة بوضوح في تدريس اللغات الشّرقيّة.

فقد كانت الدروس تُوَزَّع على **محاور كبرى** قد يطرأ تعديل على عددها، أو تسلسلها، أو صِيَغها، أو بعض محتواها، مِن غير أن يبلغ حَدّ التغيير الجَذريّ.

وتلك المحاور هي أساسًا :

- فقه اللغة والآداب العربيّة (السّاميّة حينًا)؛
- التاريخ والآثار في سوريا وفِينيقيا؛
- تاريخ الكنائس الشّرقيّة القديمة ومؤسّساتها؛
- لُغات الشّرق القديمة؛
- الدراسات الأرمنيّة.

ويُلاحَظ أنّ المحاور التي كانت اللغات الشّرقيّة تُدرّس فيها قابلة للتغيُّر:

---

[1] فضّلنا عبارة "الشّرقيّة القديمة" على عبارة "القديمة" وحدها، وذلك لاستبعاد اللغة "اللاتينيّة" التي ذُكرت في برامج معهد الآداب الشّرقيّة، في العام الجامعيّ 1940-1941. والمقصود باللغات الشّرقيّة تلك اللغات التي كانت تُستَعمل أو ما زالت تُستعمل في الشّرق، مع أنّ أُصولها ليست شرقيّة في أساسها، كالفارسيّة والأرمنيّة القديمة، وهما من أُصول هندو أوروبّيّة.

– فمن ذلك **محورٌ أوّل** هو محور **لُغات الشّرق القديمة** : وفيه العبريّة، والسُّريانيّة، واللغة الأرمنيّة القديمة (Grabar)، هذا في العام الجامعيّ 1937–1938[2]؛ و نجد في المحور نفسه بالسنة التالية اللغة السّريانيّة إلى جانب اللغة الأرمنيّة القديمة.

– ومن ذلك محور ثانٍ هو محور **فقه اللغات والآداب السّاميّة** : وفيه العبريّة، والآراميّة، وآراميّة الكتاب المقدَّس، وعِلم النقوش الآراميّة، وذلك في العامَين الجامعيَّين 1943–1944، و1944–1945. ونجد في المحور نفسه سنة 1943–1944، العبريّة، والآراميّة، وآراميّة الكتاب المقدَّس، وعِلم النقوش الآراميّة، فضلاً عن اللغة والآداب السّريانيّة.

ولاستكمال الصّورة، لا بُدّ من ذِكر **الدراسات الأرمنيّة** في معهد الآداب الشّرقيّة. فنُلاحظ ابتداءًا من العام الجامعيّ 1943–1944 إضافةَ محورٍ عنوانه "اللغة الأرمنيّة"، وهو عبارة عن درس أسبوعيّ، ودروسٍ خاصّة بالمبتدئين، وقد استمرّ تأمينه لعدّة سنوات.

وقد لَمَعَ في المجالات السابقة بعض الأسماء، ومن أصحابها (حسب تسلسل وفياتهم) :

– الأب جان ميسيريان اليسوعيّ [Jean Mécérian] (1888–1965)، في حقل الدراسات الأرمنيّة، وقد درّس اللغة الأرمنيّة، وتاريخ أرمينا، ونُظمها...

– الأب بول موتِرد اليسوعيّ [Paul Mouterde] (1892–1972)، في حقل اللغات السريانيّة، والعبريّة والآراميّة، والآداب السريانيّة وتاريخها.[3]

– الأب هنري فليش اليسوعيّ [Henri Fleisch] (1904–1985)، في حقل فقه اللغات الساميّة.

ويُلاحَظ منذ العام الجامعيّ 1945–1946مزيدٌ من **التركيز على العربيّة**؛ واستمرّ التركيز هذا مَثَلاً في العام الجامعيّ التالي، ورافقته إعادة بناءٍ للمحاور. وتجدر الإشارة أيضًا إلى مزيدٍ من **التركيز على الإسلاميّات**، مع تعيين الأستاذ نجاتي قبّاني لتدريس مادّة عِلم الاجتماع الإسلاميّ في العامَين الجامعيَّين 1944–1945، و1945–1946، ابتداءً من العام الجامعيّ 1946–1947؛ ثمّ مع تعيين الأستاذ حَسَن قَبَلان لتدريس مادّة عِلم الاجتماع الإسلاميّ والنُّظم الإسلاميّة، ابتداءَ من العام الجامعيّ 1946–1947. وجاء ذلك بعد تركيزٍ سابق على التاريخ العربيّ والإسلاميّ. ورافقَ التركيزَ على العربيّة انضمامُ

[2] ويُشار إلى أنّنا نجد في محور الدراسات الأرمنيّة بالسنة نفسها درسًا مُخصّصًا للّغة والآداب الأرمنيّة.
[3] وذُكر أيضًا في حقل اللغة السريانيّة الخور أسقف ميشال رجّي.

أُستاذَين يحمل كلٌ منهما شهادة الدكتوراه في الآداب من السوربون، أوّلهما الأب هنري فليش الذي سبَق ذكره في حقل فقه اللغات الساميّة، وهو المتخصّص أيضًا في فقه اللغة العربيّة والمتضلّع منه؛ وثانيهما الأستاذ خليل الجرّ (ابتداءً من العام الجامعيّ 1946–1947) وهو المتخصّص في الفلسفة العربيّة. وينمّ ذلك على تغيّرٍ أخذت معالمه تَرتسم في لبنان والبُلدان العربيّة.

وبعدَ هذا العَرض الموجَز، قد يتبادر إلى ذهن المستمع أو القارئ سؤالٌ هو الآتي : إنّ برامج معهد الآداب الشّرقيّة لا تتضمّن اليوم موادّ تتناول تدريس اللُغات الشّرقيّة القديمة؛ **أَفَلا يُمكن إحياء تلك الموادّ اليوم؟**

يحتاج الجواب إلى **دراساتٍ تمهيديّة** يُمكن لعددٍ من مؤسّسات جامعة القدّيس يوسف القيامُ بها، وذلك لنتبيّن إمكانيّة العودة إلى تدريس اللغات القديمة. فينبغي لدراسة الجدوى أن تُحدّد رغبة الطلبة وغير الطلبة في الموادّ هذه، واللغاتِ التي تحوز قصب السّبق في الطلب، ووسائل التمويل التي يُمكن أن تُعتمَد، والمؤسّسة التي ستأخذ على عاتقها تنظيم الدراسة. وفضلاً عن ذلك، لا بُدّ من أن يُحسب حساب الجامعات الأوروبّيّة التي تتمتّع اليوم بقُدُرات وكفاءات عِلميّة، ومناهج تعليميّة جديدة في المجال المنشود، لم تكن لتحظى بها في النصف الأوّل من القرن الماضي. ففي ضوء الدراسات وما تُقدّمه من أجوبة، يُتّخذ القرار: قرارُ العزوف عن اللغات القديمة، أو قرار العودة إليها.